

قراءة في جدلية الأنا والآخر ثانية

الأب سليم دكّاش اليسوعي*

مرّة أخرى نعود إلى جدلية الأنا والآخر. في هذه الجدلية، إذا سلّمنا بوجودها خصوصاً في هذا المحيط العربيّ الإسلاميّ الذي نعيش فيه، إنّما نعترف بالغيريّة، أي بوجود الفرد والشخص البشريّ المختلف عن غيره بالرغم من الانتماءات المشتركة، وكذلك بوجود تعدّدية اجتماعيّة لا بدّ من القبول بها. وعندما نسلمّ بهذه المعطيات، نفتح الباب واسعاً أمام معرفة الآخر، لا بل معرفة الذات معرفةً إيجابيةً، وليس معرفة سلبيةً تقبّح الأنا وبالتالي الآخر.

بقيت المعرفة نوعاً من إدراك بعض المفاهيم العموميّة إدراكاً نظريّاً، ونوعاً من اكتساب القدرة على تسيير الأدوات التكنولوجيّة الحديثة. لكنّها لم تتحوّل إلى فهم ماهيّة الذات، وماهيّة الآخر المختلف عن الأنا. إنّ معرفة الآخر لا تتعدّى استخراج بعض المعطيات الصريحة عنه وبعض الأفكار السطحيّة عمّا هو وبعض الصّور المنمّطة الشيطانيّة عن حالته الاجتماعيّة واقتناعاته وطموحاته وعلاقاته.

هذه المعرفة تقود حتمًا إلى إرادة الإلغاء. إلغاء الذات وإلغاء الآخر. من هنا يبدأ العنف، من تصوّر ما هو الأنا وما هو الآخر وما حكم العلاقة بينهما. ينبغي لنا اليوم قبل الغد أن نحوّل المعرفة إلى بابٍ واسع ندخل عبره بيت الآخر - الإنسان المختلف، ونُدخل الآخر بيتنا ليغرف منها ما هو بحاجة إليه. فهل نقبل التحديّ؟

* رئيس تحرير مجلة المشرق.